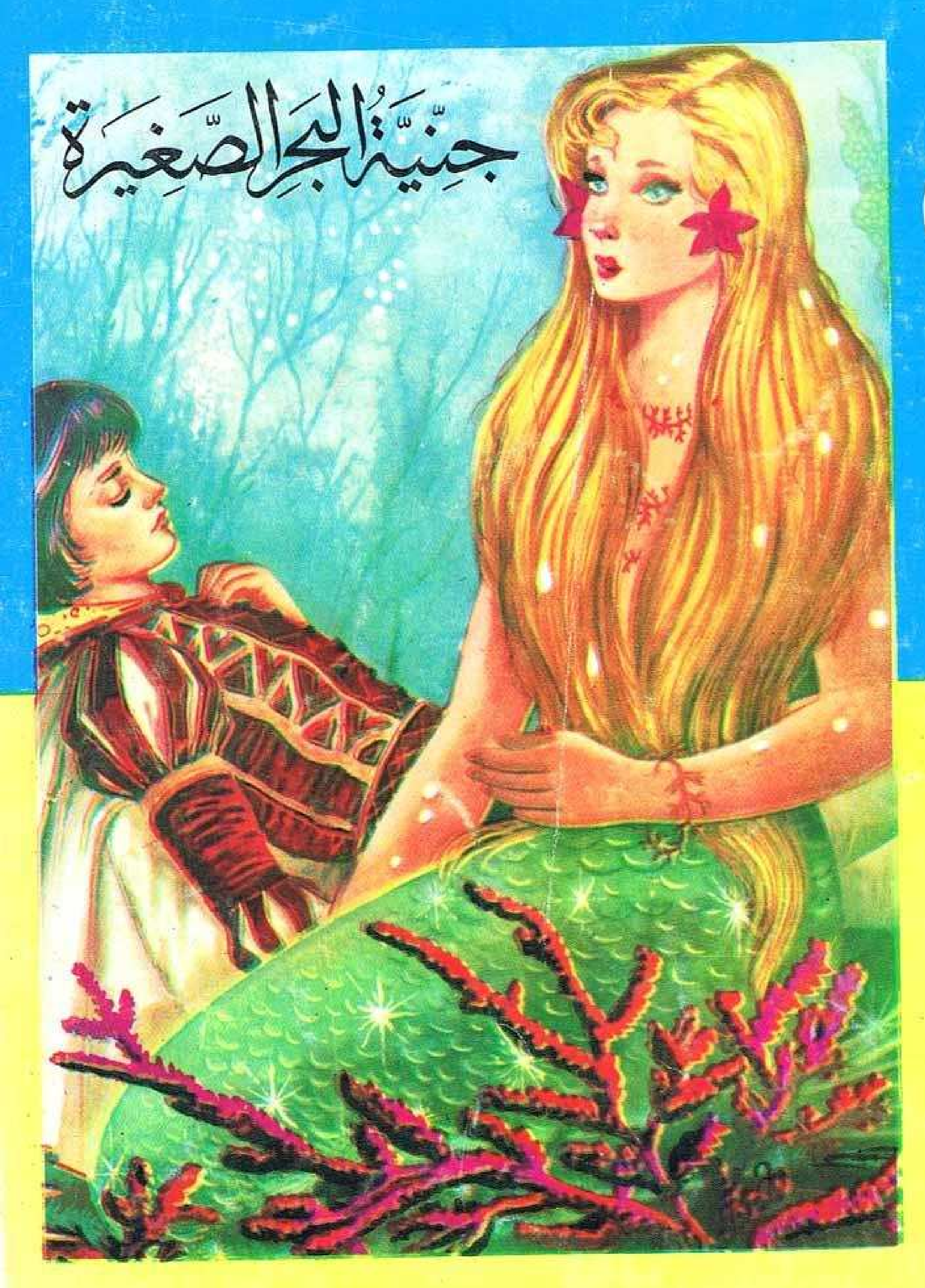
مجموعة قصص عالمية للأطفال

١٤



دار الكتاب اللبناني ــ دار الكتاب المصري
بيروت - لبنان   القاهرة

مجموعة قصص علمية للأطفال

١٤

م. الكيلاني

جنية البحر الصغيرة

تصدرها
دار الكتاب اللبناني

١٩٧٩



جنية البحر الصغيرة

مَنْ مِنّا لَمْ يَسْمَعْ بِبِلادِ الْكُوَيْتِ ، وَساحِلِها الرَّمْلِيِّ الْمَمْلوءِ بالصُّخورِ الْمَرجانِيَّةِ الْعَجيبَةِ التَّكْوينِ ؟. تِلْكَ الْبِلادُ الَّتي تَمْتَدُّ عَلى الضِّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْخَليجِ الْعَرَبِيِّ ، الشَّهيرِ الْيَوْمَ بِالْآبارِ الْبِتْرولِيَّةِ ، الَّتي تَتَدَفَّقُ مِنْها ثَرْوَةُ الذَّهَبِ الْأَسْوَدِ ، بِكَمِّيّاتٍ كَبيرَةٍ لِتَجْلِبَ الْغِنى والرَّفاهَ ، لِلشُّعوبِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَسْرِها . وَقَدْ كانَ هذا الْخَليجُ يَشْتَهِرُ في الْماضي

وَحتّى وَقْتٍ لَيْسَ بِبعيدٍ ، بِاسْتِخْراجِ اللُّؤْلُؤِ وَالْأَحجارِ الكَريمَةِ ، مِنْ قاعِ البَحْرِ حَيْثُ يَغوصُ الغوّاصونَ وَراءَها حَتّى الْأَعْماقِ ، فَيَعْثُرونَ عَلَيْها داخِلَ الْأَصدافِ ، وَخِلالَ الرِّمالِ بَعْدَ صُعوباتٍ كَثيرَةٍ ، قَدْ تُكَلِّفُ الْواحِدَ مِنْهُمْ حَياتَهُ ، ثَمَنًا لَها في أَغْلَبِ الْأَحْيانِ .

في ذاكَ الْخَليجِ ، أَيُّها الْأَطفالُ ، وَعَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ السّاحِلِ الْكُوَيْتِيِّ ، توجَدُ جَزيرَةٌ صَغيرَةٌ تُسَمّى جَزيرَةَ (فَيْلَكا) حَيْثُ جَرَتْ حَوادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجيبَةِ في أَقْدَمِ الْأَزْمانِ . فَقَدْ كانَتْ تِلْكَ الْأَماكِنُ قَليلَةَ السُّكّانِ ، تَكْثُرُ فيها عَفاريتُ الْبِحارِ الَّتي تَعيشُ في أَعْماقِ الْمِياهِ . وَلا تَظْهَرُ عَلى سَطْحِ الْبَحْرِ إِلّا قَليلًا ، وَفي بَعْضِ الْمُناسَباتِ فَقَطْ . وَهِيَ إِذا ظَهَرَتْ عَلى سَطْحِ الْماءِ ، عادَتْ مُسْرِعَةً إِلى قاعِ الْبَحْرِ ، بِمُجَرَّدِ أَنْ يُشاهِدَها أَيُّ إِنْسانٍ ، حَيْثُ تَخافُ النّاسَ كَثيرًا وَتَخْشى أَذاهُم .

وَكانَ لِهَذِهِ الْمخلوقاتِ الْغَريبَةِ الشَّكْلِ مَمْلَكَةٌ كَبيرةٌ تَمتدُّ في قاعِ الْبَحْرِ مِثْلَما تَمتدُّ مَمالِكُ بني الْبَشَرِ أَمْثالِنا فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ. وَهذِهِ الْمَمْلَكَةُ تَحْتَوي على مُدُنٍ مَمْلوءَةٍ بِالسُّكّانِ، مِنَ الرِّجالِ (العفاريتِ)، وَمِنَ النِّساء (الْجِنِّيّاتِ). وَالْعِفْريتُ الْواحِدُ مِنْهُمْ لَهُ أَجْنِحَةٌ قَصيرةٌ، تَمتدُّ على كَتِفَيْهِ كَيْ تُساعِدَهُ على الطَّيرانِ مِنْ مَكانٍ إِلَى آخرَ. وَأَمّا الْجِنِّيَّةُ، فَلَها ذَيْلٌ يُشْبِهُ ذَنَبَ السَّمَكَةِ، يُمَكِّنُها مِنَ السِّباحَةِ داخِلَ الْماءِ فَقَطْ، بِحَيْثُ لا تَتَمَكَّنُ مِنَ الْخُروجِ مِنْهُ، إِلّا إِلَى مَسافاتٍ قَريبَةٍ مِنَ الشّاطِئِ، بِسَبَبِ عَدَمِ وُجودِ أَرْجُلٍ لَها تُساعِدُها عَلى الْمَشْيِ. فَذَيْلُها الشَّبيهُ بِذَنَبِ السَّمَكَةِ، هُوَ بِمَثابَةِ هَذِهِ الْأَرْجُلِ، وَهُوَ مَوْجودٌ في مَوْضِعِها مِنْ جِسْمِها الَّذي يُشْبِهُ في بَقِيَّةِ أَعْضائِهِ، أَعْضاءَ جِسْمِ الْإِنْسانِ تَماماً.

•

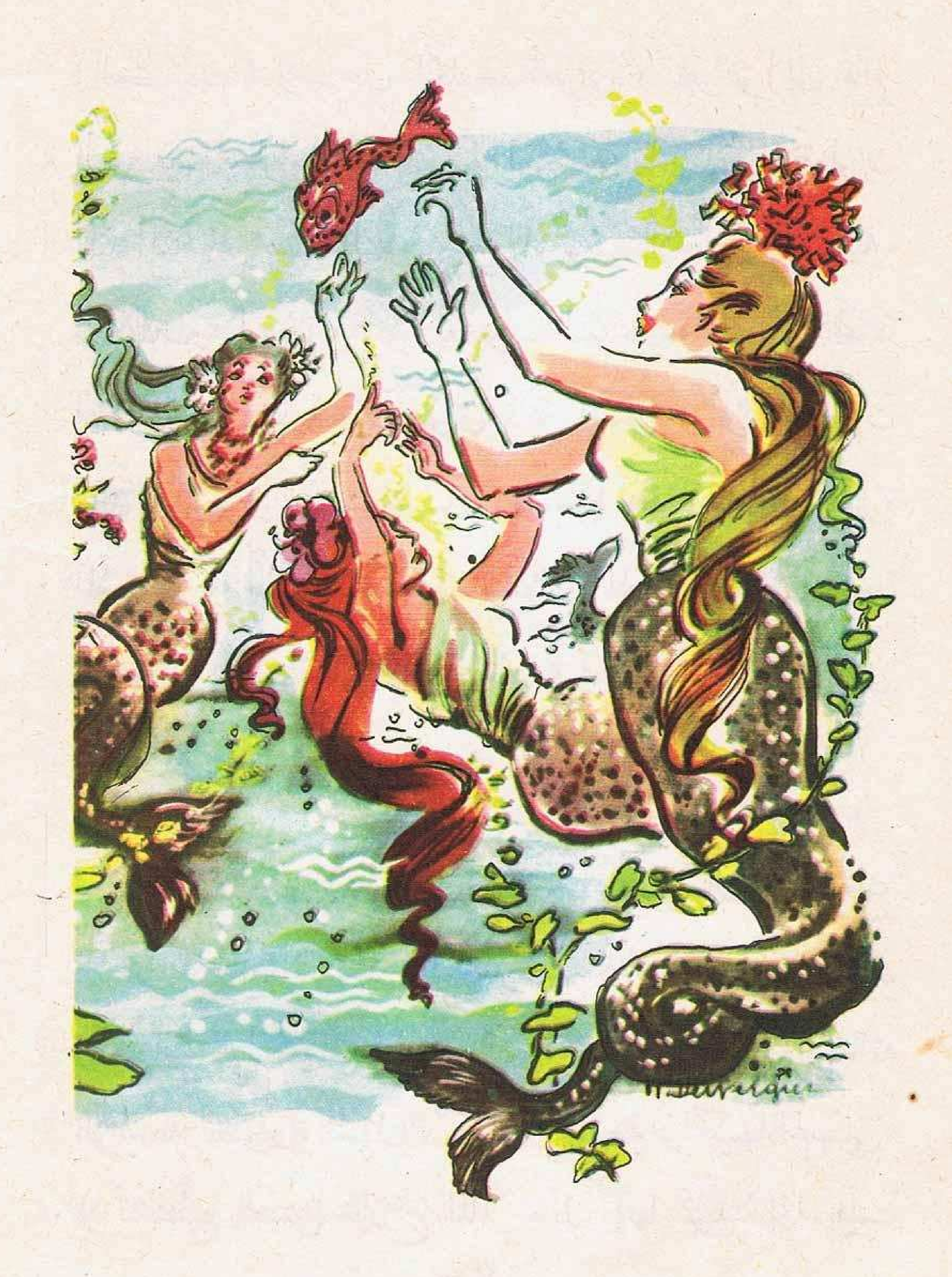
أَمّا الْمَدينَةُ الَّتي يَسْكُنُها هَؤُلاءِ، فَتَقَعُ فَوْقَ سَطْحِ

الْأَرْضِ ، الْمُمْتَدَّةِ في أَسْفَلِ البحرِ . حَيْثُ يملأُ البحرُ ، بمائِهِ الكثيرِ جدًّا ، سائِرَ الْمُنْخَفَضاتِ الواسِعَةِ مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ ، الَّتي نعيشُ نَحْنُ ، بَني الإِنْسانِ ، عَلَيْها . وَلِهذا يَظَلُّ أَسفَلُ هَذِهِ الْمُنْخَفَضاتِ ، مُشَكَّلًا مِنْ أَجْزاءِ الْأَرْضِ نَفْسِها ، الْمُحْتَوِيَةِ عَلى الصُّخورِ وَالْحِجارَةِ وَالتُّرابِ ، غَيْرَ أَنَّها جَميعَها تَكونُ مَغْمورَةً في الْمِياهِ مِمّا يُسَبِّبُ لَها التَّحَوُّلَ وَالتَّبَدُّلَ عَنْ صِفاتِها الْأَساسِيَّةِ ، بِتَأْثيرِ الرُّطوبَةِ الْمائِيَّةِ ، الَّتي مِنْ شَأْنِها تَفْتيتُ هَذِهِ الْأَشْياءِ ، وَجَعْلُها موحِلَةً كَثيرَةَ الْأَمْلاحِ ، مِمَّا يَحْصُلُ مِنْ ذَوَبانِ مادَّةِ الْمِلْحِ ، الْمَوْجودَةِ أَصْلاً في الطَّبَقاتِ الصَّخْرِيَّةِ .

هَذِهِ هِيَ صِفاتُ الْأَرْضِ الْمَوْجودَةِ في أَسْفَلِ الْبِحارِ ، الْمَعْروفَةِ بِاسْمِ قاعِ الْبَحْرِ . وَهِيَ لا تَزالُ مَجْهولَةً بِالنِّسْبَةِ لِبَني الإِنْسانِ ، حَيْثُ يَصْعُبُ النُّزولُ إِلَيْها داخِلَ طَبَقاتِ الْماءِ الْعَميقَةِ جِدّاً . غَيْرَ أَنَّ الغَوّاصينَ مِنْ أَبْناءِ بِلادِ

(الكُوَيْتِ) وَساحِلِ الْخَليجِ العَرَبِيِّ ، تَعَرَّفوا إلَى قاعِ
البَحْرِ مُنْذُ الزَّمَنِ القَديمِ ؛ لِكَثْرَةِ ما كانوا يَنْزِلونَ
إلَيْهِ أثْناءَ غَوْصِهِمْ لِلبَحْثِ عَنِ اللُّؤْلُؤِ وَالأَحْجارِ الكَريمَةِ .
وَكَثيرونَ مِنْهُمْ كانوا يَقْضونَ السّاعاتِ الطَّويلَةَ ، تَحْتَ
الْماءِ ، وَهُمْ يَسيرونَ فَوْقَ قاعِ الْبَحْرِ ؛ أَوْ يَسْبَحونَ
بَيْنَ الصُّخورِ الْمُنْتَشِرَةِ فيهِ . لا سِيَّما بَعْدَ اخْتِراعِ أَجْهِزَةِ
الْغَوْصِ ، الْمُساعِدَةِ عَلى اسْتِنْشاقِ الْهَواءِ خِلالَ أَنابيبَ
خاصَّةٍ مِنَ الكَوْتْشوكِ (الْمَطّاطِ) ، يُمْكِنُ إيصالُها إلى أَعْمَقِ
نُقْطَةٍ مِنْ مِياهِ الْبَحْرِ .

هَذا بِالنِّسْبَةِ لِبَني الإِنْسانِ ، وما لَهُ مِنَ الصِّلَةِ مَعَ قاعِ
البِحارِ . وَأَمّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلوقاتِ الأُخْرى ، كَالأَسْماكِ
وَالْجِنِّيّاتِ الَّتي تَعيشُ داخِلَ البَحْرِ ، فَهِيَ تَتَنَقَّلُ في أَرْجائِهِ
الواسِعَةِ بِصورَةٍ أَسْهَلَ ، كَما أَنَّها بِطَبيعَةِ تَرْكيبِها الْجِسْمِيِّ ،
لا تَسْتَطيعُ العَيْشَ خارِجَ الْماءِ . بَلْ إِنَّها تَموتُ إذا بَقِيَتْ



خارِجَه لِفترةٍ مَلحوظَةٍ ، لِأَنَّ تَنفسَها لِلْهَواء ، يَجْري عَنْ طَريقِ الفلاصِمِ ، الْموجودَةِ في جوانِبِ فَكَّيْها . فَهِيَ ، أيْ الفَلاصِمُ ، تَمتصُّ الْهَواءَ الْموجودَ بَيْنَ ذَرّاتِ الْمِياه ، وَتَدْفعُ بِهِ إلى رِئَتَيْ هَذِهِ الْحَيوانات ، بِذاتِ الطَّريقَةِ الَّتي يَدْفَعُ بِها أَنْفُ الْإِنسانِ ذَرّاتِ الْهَواءِ الْموجودِ فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ .

بَعْدَ هذا الوَصْفِ ، أَيُّها الْأَطفالُ ، لِقاعِ البَحْرِ ، أَصْبحَ بِإِمكانِنا التَّعَرُّفَ إلى حَقيقَةِ الْمَمْلَكَةِ الَّتي أَنْشَأَها العَفاريتُ هُناكَ . فَقَدْ بَنَوا بُيوتَهُمْ فيها مِنَ الْأَصْداف الَّتي تُخَلِّفُها الْأَسماكُ وَالْحَيواناتُ البَحْرِيَّةُ ، عِوَضاً عَنِ الْأَحجارِ الَّتي نَسْتَعْمِلُها نَحْنُ . كَما رَصَفوا الطُّرُقات بِقُشورِ جُلودِ الْأَسماكِ وَحَراشِفِ الْحيتانِ الكَبيرَةِ ، الَّتي تُشاهِدونَها عِنْدَ تَنْظيفِ السَّمَكَةِ في الْمَطْبَخِ غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ الَّتي اسْتَخْدَمَها العَفاريتُ ، هِيَ أَكْبَرُ حَجْماً وَأَسْمَكُ . وَهِيَ

بَرّاقَةٌ صافِيَةَ اللَّوْنِ ، لِدَرَجَةٍ أَنَّها تَظْهَرُ شَفّافَة . وَهِيَ أَيْضاً مُسْتَدِيرَةُ الشَّكْلِ . لِذَلِكَ تُعْطي الطُّرُقَ الْمَرْصوفَةَ بِها ، مَظْهَراً هَنْدَسِيّاً جَمِيلاً وَلِدَرَجَةٍ مُتَناهِيَةٍ . وَهَذِهِ الْمَدينَةِ تَحْتَوي كَذَلِكَ ، عَلى الْحَدائِقِ ذاتِ النَّباتاتِ الْبَحْرِيَّةِ ، الْمُخْتَلِفَةِ تَماماً عَنِ النَّباتاتِ الَّتي نَعْرِفُها . فَهِيَ ذاتُ أَوْراقٍ غَليظَةٍ وَمُسْتَطيلَةٍ جِدّاً ، عَديمَةِ اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ ، بِسَبَبِ عَدَمِ تَعَرُّضِها لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، الَّتي بِفِعْلِها يَحْصَلُ ما يُسَمَّى بِالتَّمْثيلِ (الْكُلوروفيلي) ، الْمُكَوِّنِ لِلْمادَّةِ الْخَضْراءِ في عُمومِ أَنْواعِ النَّباتاتِ الَّتي نَعْرِفُها . وَهَذِهِ الْحَدائِقُ الْمَوْجودَةُ في الْمَدينَةِ الْكائِنَةَ تَحْتَ الْبِحارِ ، تَحْتَوي أَيْضاً عَلى زُهورٍ غَريبَةٍ ذاتِ وُرَيْقاتٍ تَخْتَلِفُ عَنْ وُرَيْقاتِ الزُّهورِ الَّتي نَعْرِفُها بِشَكْلِها وَلَوْنِها بِحَيْثُ تُشابِهُ الْأَزْهارَ الْإِصْطِناعِيَّةَ ، الْمَكْسُوَّةَ بِطَبَقَةٍ مِنَ الشَّمْعِ . وَهِيَ لَيْسَتْ جَميلَةً بِقَدْر

جَمالِ زُهورِنا البَرِّيَةِ ، بِسَبَبِ خُلُوِّها مِنَ الرّائِحَةِ العَطِرَةِ المُنعِشَةِ . غيرَ أنَّ الأسماكَ تَجِدُ في تِلكَ الحَدائِقِ مَراحًا واسِعًا تَسبَحُ فيهِ خِلالَ نَباتاتِها وَزُهورِها ، لِتَلتَهِمَ الهَوامَّ وَالدّيدانَ الصَّغيرَةَ المُعشِّشَةَ في جِوارِها . وَخاصَّةً في ثُقوبِ الصُّخورِ المَرجانِيَّةِ الحَمراءِ اللَّونِ ، الَّتي تَتَشَكَّلُ هُناكَ بِكُتَلٍ كَبيرَةٍ ، ذاتِ جُدرانٍ طَويلَةٍ وَعَريضَةٍ ، تَمتَدُّ بَينَها مَمَرّاتٌ ضَيِّقَةٌ تُشبِهُ الوِديانَ وَالكُهوفَ الَّتي نُشاهِدُها في الجِبالِ .

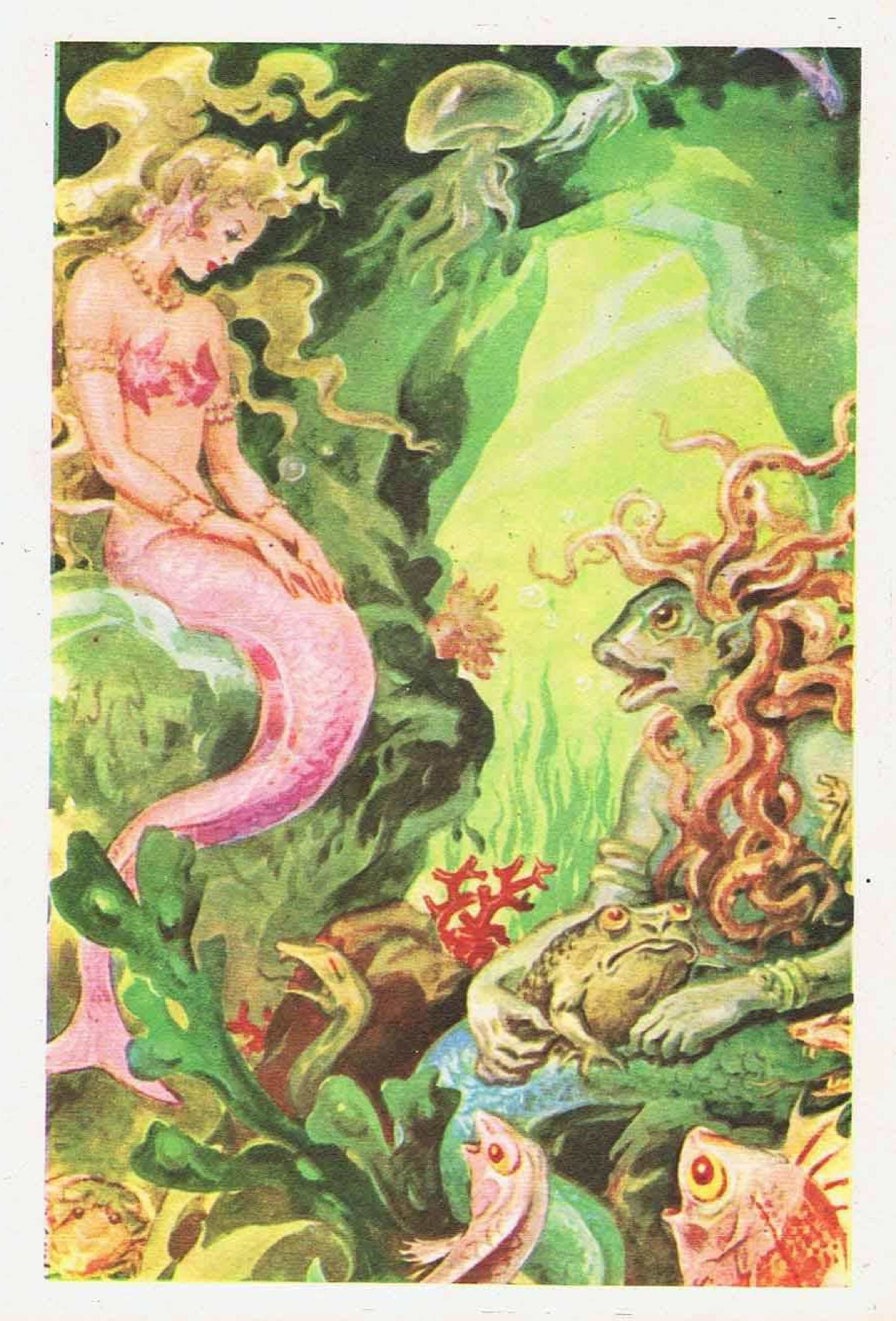
وَفي وَسَطِ تِلكَ المَدينَةِ البَحرِيَّةِ ، بَنَتِ العَفاريتُ لِمَليكِها قَصرًا كَبيرًا لَهُ سَبعَةُ أبراجٍ . وَكانَتِ المَلِكَةُ قَدْ تُوُفِّيَتْ مُنذُ فَترَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وَخَلَّفَتْ لَهُ سِتَّ بَناتٍ تَرعاهُنَّ جَدَّتُهُنَّ والِدَةُ أبيهِنَّ ، وَتَسهَرُ عَلى تَربِيَتِهِنَّ . وَكانَتْ هذِهِ الجَدَّةُ امرأةً قاسِيَةً في إدارَتِها لِشُؤونِ القَصرِ المَلَكيِّ ، مِنْ أجلِ ضَبطِ أعمالِهِ وَتَنظيمِها .



وَكانَتِ الْأَخَواتُ السِّتُّ يَخْشَيْنَ بَأْسَ جَدَّتِهِنَّ ولا يَتَجاسَرْنَ عَلى مُخالَفَةِ قَوْلِها مُطْلَقاً . وَهَذِهِ الْجِنِّيّاتِ الصَّغيراتُ كُنَّ جَميلاتِ الصُّوَرِ ، ذَواتَ شُعورٍ طَويلَةٍ شَقْراءِ اللَّوْنِ ، وَعُيونٍ ، زَرْقاءَ ، مِثْلَ زُرْقَةِ ماءِ الْبَحْرِ . وَكُنَّ يَتَمَتَّعْنَ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَذْبٍ وَحَديثٍ لَطيفٍ . فَهُنَّ

يُداعِبْنَ السَّمكاتِ الصَّغيراتِ ، وَيَتوَدَّدْنَ إِليها بِتقديمِ فُتاتِ الطَّعامِ بِأَيْديهِنَّ الجميلةِ .

وَكانَتْ فَتاةٌ مِنْ أَصغرِ جِنّيّاتِ البَحْرِ هَذِهِ ، عَلى دَرَجةٍ عاليةٍ مِنَ التَّهذيبِ وَاللَّطافَةِ ، تَمتازُ عَنْ شَقيقاتِها بِميلِها لِلْهُدوءِ والإِنْزِواءِ . حَيْثُ تَأْوي إِلى حَديقَتِها الْخاصَّةِ لِتَجْلِسَ في جِوارِ زُهورِها بِمُفْرَدِها ، وَهِيَ مُسْتَرْسِلَةٌ وَراءَ الْأَحلامِ البَعيدَةِ الْمرمى . وَكانَ لِكُلٍّ مِنْ شَقيقاتِها أَيضاً حَديقَةٌ خاصَّةٌ بِكُلِّ واحِدةٍ مِنهُنَّ . حَيْثُ يَقْصِدْنَها لِلنُّزْهَةِ وَجَمْعِ الْأَزْهارِ النَّادِرَةِ الوُجودِ . وَكانَتْ أَصْغَرُهُنَّ تَحْتَفِظُ بِتِمْثالٍ صَغيرٍ ، مَنحوتٍ مِنَ الرُّخامِ الْأَبيَضِ اللَّوْنِ لِصَبِيٍّ صَغيرٍ . وَقَدْ عَثَرَتْ عَلَيْهِ في قاعِ البَحْرِ وَأَحَبَّتْهُ كَثيراً . لِذلِكَ وَضَعَتْهُ في مَكانٍ مُرْتَفِعٍ ، يَقَعُ وَسَطَ الْحَديقَةِ الْخاصَّةِ بِها . وَأَحاطَتْهُ بِمَجموعَةٍ مِنَ الزُّهورِ وَالْحَشائِشِ لِتَجْلِسَ بِجوارِهِ ، أَثناءَ خَلَواتِها الحالِمَةِ .



وَكانت هذِهِ الجِنيَّةُ الصَّغيرَةُ تحلُمُ في أنْ تتهيَّأَ لها فُرصَةُ المشاهَدةِ للآدَميّينَ الَّذينَ يعيشونَ فوقَ سطحِ الأَرْضِ الَّتي تتحدَّثُ جدَّتها عنْها في كثيرٍ مِنَ المناسَبات. وَذلِكَ كيْ تبحثَ فيها بيْنَ الفتيانِ الآدَميّينَ عنِ الفتى المشابِهِ للتِّمثالِ الصَّغيرِ الَّذي حصلتْ عليْهِ وتحبُّهُ محبَّةً جمَّةً.

وَكانتِ الأَوامِرُ الملكيَّةُ لا تسمَحُ لجنِّيَّةِ البحْرِ بالعَوْمِ إلى سطحِ الماءِ قبلَ أنْ تبلُغَ سِنَّ الخامِسةَ عشرَةَ، فيُسمَحُ لها وَقتئذٍ بالنَّظرِ إلى عالَمِ الرِّجالِ، ذلِكَ العالَمِ المليءِ بغرائبِ الأَشياءِ، حيثُ الشَّمسُ تسطعُ في سمائِهِ، وَالأَرضُ مُخضرَّةً بأَعشابِها، نضِرَةً بأَزْهارِها الذَّكيَّةِ العبيرِ، وَالأَشجارُ الَّتي تُعشِّشُ فيها الطُّيورُ المُغرِّدَةُ ذاتُ الأَجنحةِ المُلوَّنةِ الرّيشِ.

ففي مساءِ يومِ ميلادِ جنّيَّةِ البحرِ الخامسَ عشرَ تُقامُ لها حفلَةٌ خاصَّةٌ تشترِكُ فيها شقيقاتُها الأُخرَياتُ اللاّئي يكُنَّ



أَكْبَرَ مِنها سِنّاً واللّائي يُسْمَحُ لهُنَّ بِالظُّهورِ فَوْقَ سَطحِ البَحرِ . وَهُناكَ تَقومُ الْمَلِكَةُ الْجَدَّةُ بِالتَّحدُّث عَنِ الْأَشياءِ الَّتي تعرِفُها عَنِ العالَمِ الْأَرْضِيِّ . فَتُصْغي الْجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ الْمُحْتَفَلُ بها إلى ذَلكَ الْحَديثِ بِعِنايَةٍ تامَّةٍ كَيْ تَحْصُلَ عَلى الْإيضاحاتِ اللّازِمَةِ لَها في حَياتِها الْجَديدَةِ . وَعِندَئذٍ تَتَقَدَّمُ هَذِهِ الْجِنِّيَّةُ مِنَ الْمَلِكِ وَجَدَّتِها فَتُقَبِّلُ يَدَ كُلٍّ مِنهُما ثُمَّ تَلْتَفِتُ إِلَى شَقيقاتِها الْحاضِراتِ فَتَتَبادَلُ القُبُلاتِ



مَعَهُنَّ كَيْ تُوَدِّعَهُنَّ قَبْلَ خُرُوجِها إلى سَطْحِ البَحْرِ لِلمَرَّةِ الأُولى في حَياتِها وَهِيَ تُغَنّي إحْدى أُغْنِياتِها الْمُفَضَّلَةِ. وَعِنْدَما تَعُودُ إلى قاعِ البَحْرِ بَعْدَ أَنْ تُلْقِيَ نَظْرَةً فاحِصَةً عَلى الفَضاءِ الْخارِجِيِّ، تُسْرِعُ إلى

إخبارِ شقيقاتِها اللّواتي هُنَّ أصغرُ منها سِنًّا بأنَّ السماءَ زرقاءُ اللّونِ كزرقةِ سطحِ البحرِ ذاتِه، وأنّها مملوءةٌ بأجرامٍ صغيرةٍ يشعُّ منها النورُ من بعيدٍ. كما تنبئهُنَّ بسماعِها زقزقةَ العصافيرِ وتغريدَ الطُّيورِ التي تردُ إلى أذنِها من وراءِ الأُفقِ حيثُ الشاطئُ المكسوُّ بالأشجارِ التي تأوي إليها، وأنَّ غناءَ الطُّيورِ يُشابهُ كثيرًا غناءَ السمكاتِ والجنيّاتِ البحريَّةِ إلى حدٍّ بعيدٍ.

وهكذا في كُلِّ سنةٍ كانتْ تُقامُ حفلةٌ لإحدى الشقيقاتِ الستِّ بسببِ بلوغِها السِّنَّ المذكورَ. وفي كُلِّ مرَّةٍ تصعدُ فيها هذهِ إلى سطحِ البحرِ لتعودُ مسرعةً إلى قاعِهِ كي تُخبرَ شقيقاتِها عن الأشياءِ الجديدةِ التي شاهدَتها. وبذلكَ يكتشفنَ أسرارَ العالمِ البشريِّ تدريجيًّا ليتفهّمنها وليُكوِّنَّ فكرةً عنها. وكانتِ الأختُ الصُّغرى تترقّبُ بفارغِ الصّبرِ مجيءَ العامِ الّذي ستكتملُ فيهِ سِنُّ الخامسةَ

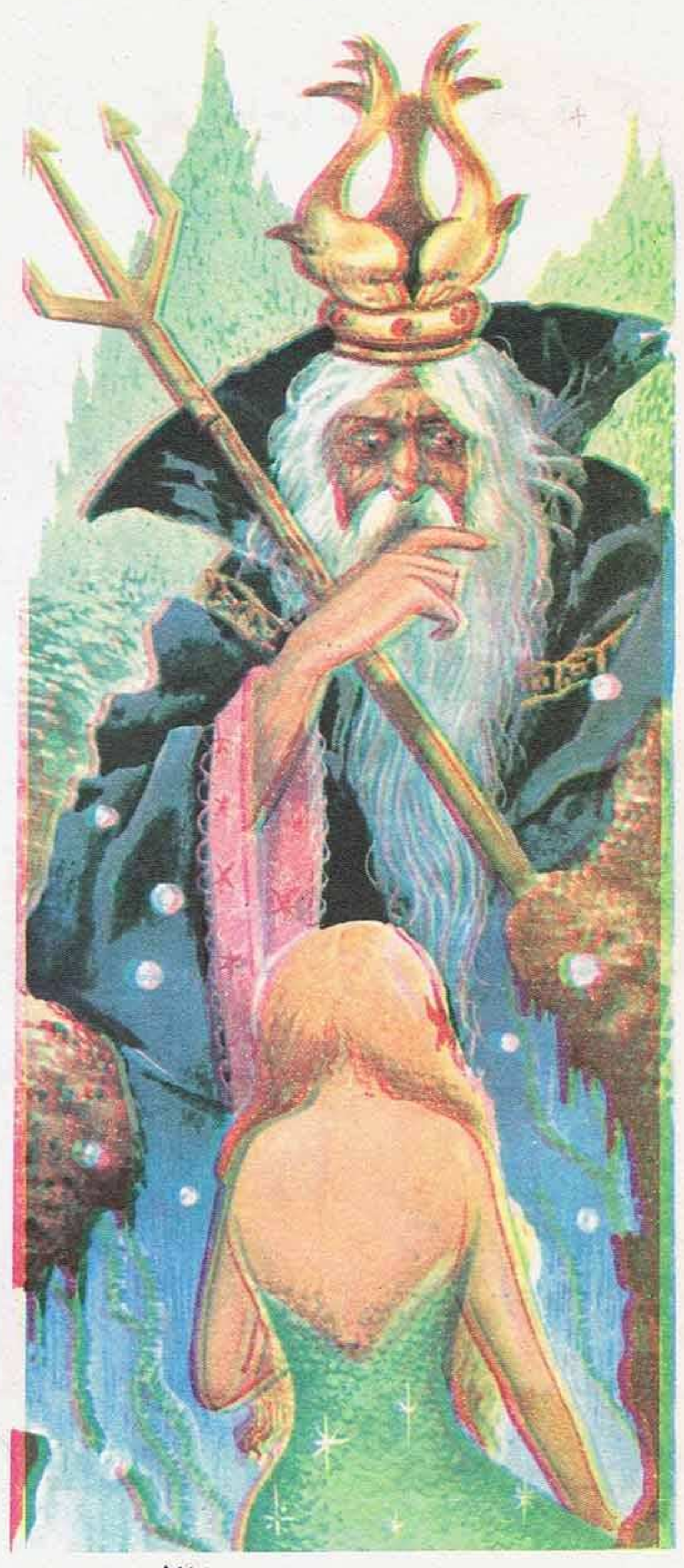
عَشَرَةَ . فَقَدْ كَانَتْ شَغُوفَةً بِرُؤْيَتِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَت تُصْغِي بِاهْتِمَامٍ إِلَى أَقْوَالِ شَقِيقَاتِهَا الْبَالِغَاتِ لِهَذِهِ السِّنِّ وَهُنَّ يَتَحَدَّثْنَ عَنْ مُشَاهَدَاتِهِنَّ هُنَاكَ . وَعِنْدَمَا تَنْتَهِي الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ مِنْ قِصَّتِهَا تَلْجَأُ الْجِنِّيَّةُ الصُّغْرَى إِلَى مَكَانِ عُزْلَتِهَا فِي حَدِيقَتِهَا لِتُعَانِقَ التِّمْثَالَ الرُّخَامِيَّ الصَّغِيرَ وَتُلْقِي بِنَفْسِهَا فِي أَحْضَانِ التَّخَيُّلَاتِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا . أَمَّا شَقِيقَاتُهَا الْخَمْسُ فَقَدْ أَلِفْنَ الْعَيْشَ فِي مَدِينَتِهِنَّ الْبَحْرِيَّةِ حَيْثُ نَشَأْنَ فِيهَا . وَإِذَا مَا قَصَدْنَ سَطْحَ الْبَحْرِ فَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ أَجْلِ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ يَقُمْنَ خِلَالَهَا بِنُزْهَةٍ خَاطِفَةٍ وَيَتَمَتَّعْنَ بِرِيَاضَةِ السِّبَاحَةِ الَّتِي يَتَعَشَّقْنَهَا كَثِيرًا . سِيَّمَا إِذَا مَا حَظِينَ بِإِحْدَى السُّفُنِ الْعَائِمَةِ هُنَاكَ فَيَأْخُذْنَ بِاللَّفِّ وَالدَّوَرَانِ حَوْلَهَا مَرِحَاتٍ مَسْرُورَاتٍ وَهُنَّ يُنْشِدْنَ الْأَغَانِيَ الْعَذْبَةَ الَّتِي تُشَنِّفُ آذَانَ الْبَحَّارَةِ بِأَصْوَاتٍ نَاعِمَةٍ لَا عَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِهَا سِوَى تَغَارِيدِ الْبَلَابِلِ السَّاحِرَةِ . مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَتِ الشَّقِيقَاتُ الْخَمْسُ يَتَفَجَّرْنَ مِنْ كَثْرَةِ أَسْئِلَةِ شَقِيقَتِهِنَّ



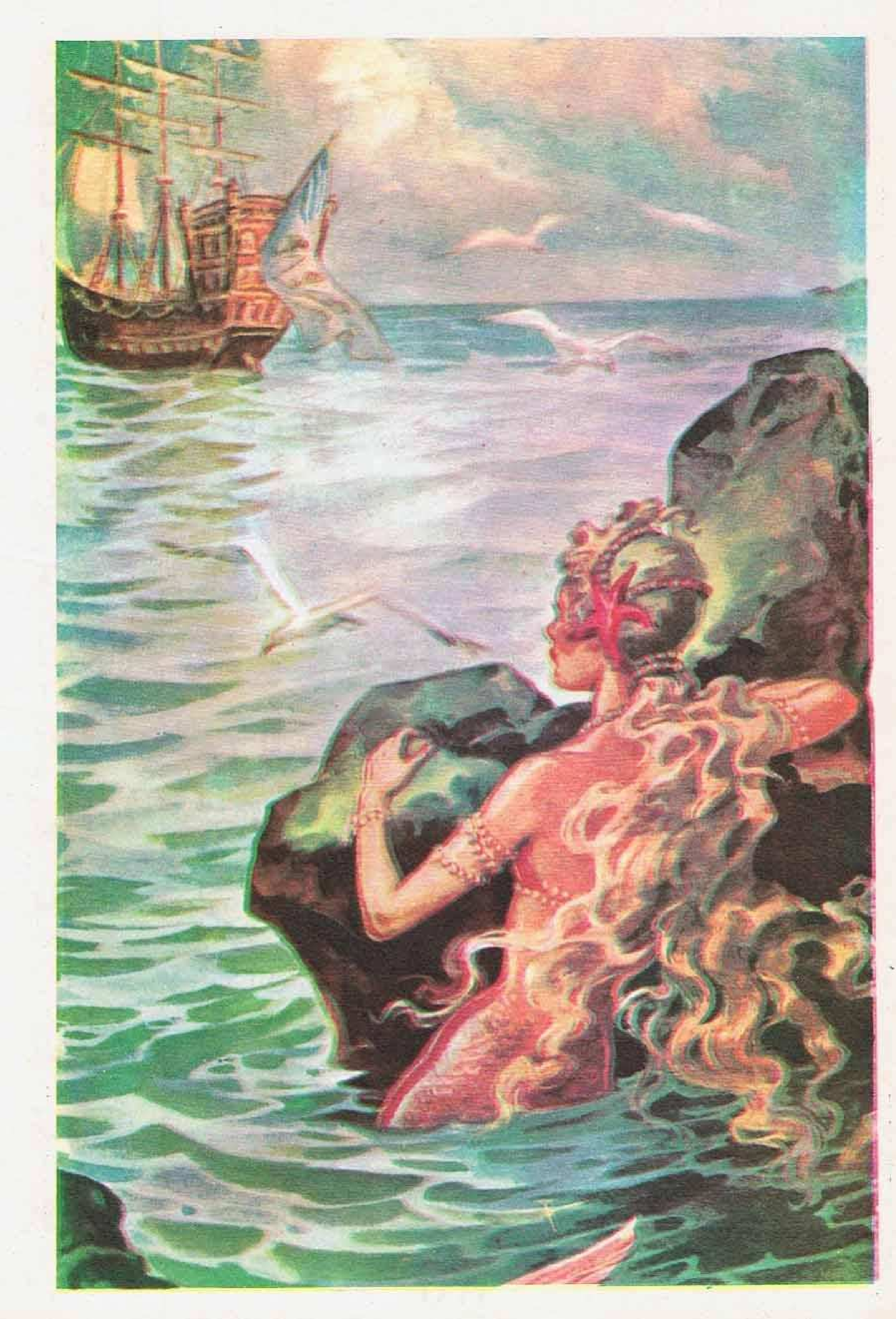
الصُّغْرى عَنِ العالَمِ الأَرْضِيِّ وَإِلْحاحِها الشَّديدِ لِمَعْرِفَةِ كُلِّ شَيْءٍ عَنْهُ .

وَأَخيرًا جاءَ دَوْرُ الشَّقيقَةِ الصُّغْرى وَبَلَغَتِ السِّنَّ القانونِيَّ . فَأُقيمَتْ لَها الحَفْلَةُ الخاصَّةُ بِها في جَوٍّ بالِغِ الحَماسِ ، إِلَّا أَنَّها كانَتْ في شُغْلٍ شاغِلٍ عَنِ الحُضورِ كُلِّيًّا فَلَمْ تَسْتَمْتِعْ بِالَّذي قُدِّمَ لَها خِلالَها مِنَ الحَفاوَةِ وَالإِهْتِمامِ . فَقَدْ كانَ تَفْكيرُها مُتَّجِهًا بِأَكْمَلِهِ نَحْوَ لَحْظَةِ وُصولِها إِلى سَطْحِ الماءِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ في حَياتِها . وَما إِنْ تَمَّتْ مَراسيمُ الحَفْلَةِ كالمُعْتادِ حَتّى أَسْرَعَتِ الجِنِّيَّةُ الصُّغْرى إِلى تَقْبيلِ أَبيها المَلِكِ وَجَدَّتِها ثُمَّ أَخَواتِها الخَمْسِ ، وَوَدَّعَتْهُمْ جَميعًا وَصَعَدَتْ عائِمَةً إِلى ما فَوْقَ البَحْرِ وَهِيَ تُنْشِدُ نَشيدَ الظَّفَرِ بِأُمْنِيَتِها الغالِيَةِ . وَكانَتِ اللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً في مُنْتَصَفِ الشَّهْرِ وَأُلوفُ النُّجومِ تَتَأَلَّقُ وَراءَ أَشِعَّةِ القَمَرِ الفِضِّيَّةِ . وَعِنْدَئِذٍ تَرَكَتْ نَفْسَها تَعومُ عَلى سَطْحِ الماءِ وَهِيَ

مُستلقيَةً على ظَهْرِها كَيْ تَتَسنّى لَها الْمُتعَةُ بِمَنْظَرِ السَّماءِ على مَهلٍ، بَيْنَما كانَتِ الْأَمْواجُ الهادِئَةُ تَدْفَعُ بِجَسَدِها العائِمِ بِاتّجاهِ الشّاطِئِ وَهِيَ لا تُبْدي أَكتِراثاً. وَاسْتَبَدَّتْ بِها نَشْوَةُ الْمُتعَةِ بِاسْتِقْبالِ حَياتِها



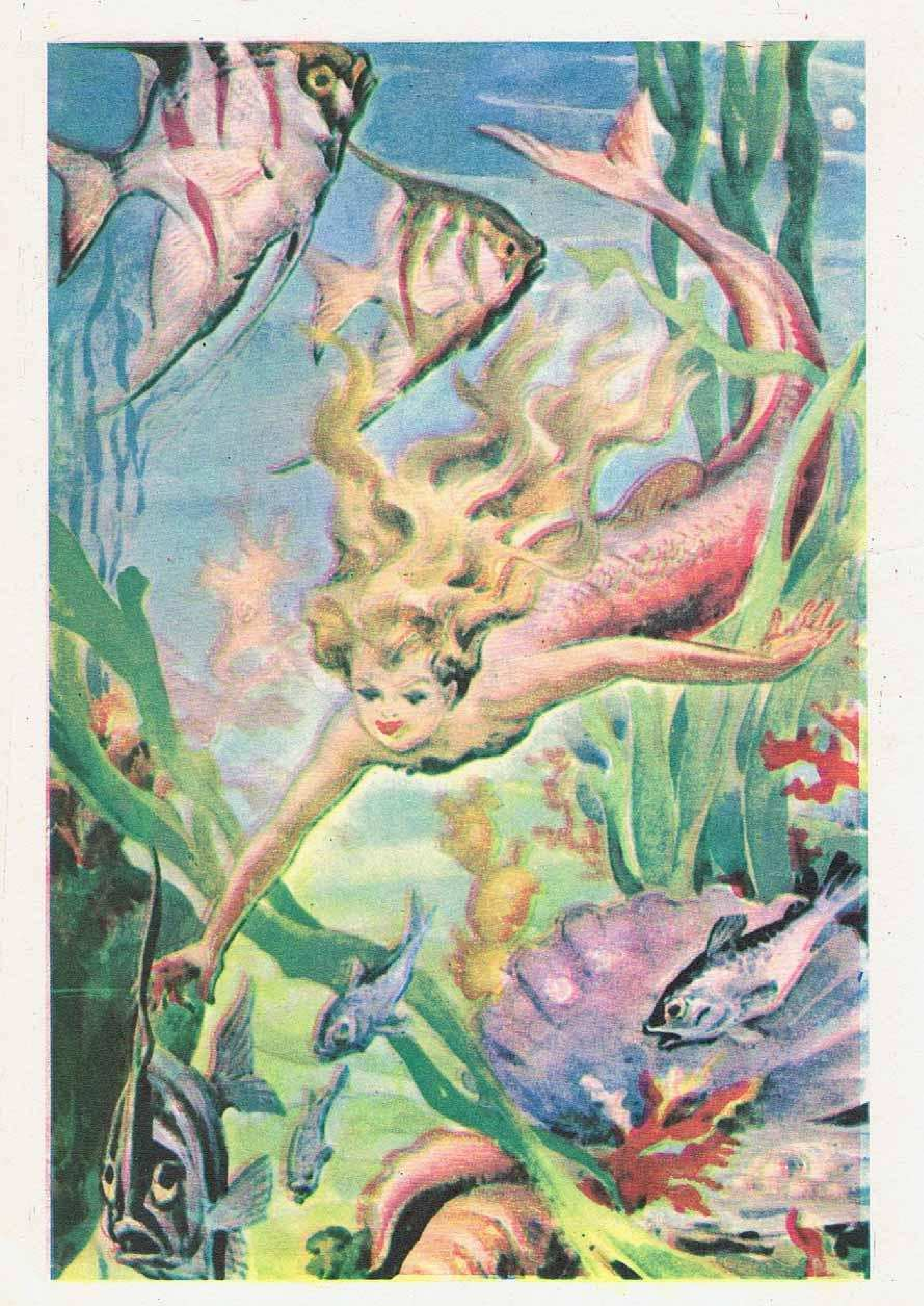
الجديدةِ لدرجةِ أنها كانت تقترب من إحدى السفنِ الراسيةِ بقربِ الشاطئ دون أن تدري من أمرها شيئاً حتّى كادت تصطدم بها على حين غرّةٍ. فارتدّت على نفسها عندئذٍ وهي تتعجّب من ضخامةِ تلك السفينةِ وأبّهةِ مظهرها وقد تألّقت فيها مئاتُ المصابيحِ، وكان الركّابُ في داخلها يمرحون ويرقصون على أنغامِ الموسيقى الهادئةِ، بينما كانت الجنّيّةُ الصغيرةُ قد اتّخذت مكاناً قريباً تراقبُ منه حركات هذا الجمعِ القريبِ بالنسبةِ إليها وتُصغي إلى هرجهم ومرجهم بغبطةٍ، حتّى انتهت الحفلةُ مع تباشيرِ الصباحِ. وكانت هذه الحفلةُ مقامةً بمناسبة بلوغِ أحدِ الأمراء الفتيانِ سنّ العشرين. حيثُ أُجلس في مكانٍ خاصٍّ وتقدّم المحتفلون لتهنئتهِ الواحدُ وراءَ الآخرِ، الأمرُ الّذي لفت انتباهها وجعلها لا تحيدُ بنظرها عن هذا الشابّ الوسيم الّذي كان يبتسمُ لكلِّ واحدٍ ويبادلهُ أعذبَ الأحاديثِ وألطفَ الكلماتِ كما هو



ظاهِرٌ مِنْ تجاوُبِ القَوْمِ مَعَهُ إلى أَقْصى درَجةٍ. وَفي إحدى المرّاتِ تقدّمَ هذا الشّابُّ مِنَ النّافذةِ المُشرِفةِ على المكانِ الّذي تقِفُ فيه جِنّيّةُ البَحرِ فاستطاعتْ أنْ تُمكّنَ نظرَها مِنْ ملامحِهِ وتتعرّفَ إليْها بوُضوحٍ فخلبَ لُبَّها بنظراتِهِ الحالمةِ وطلْعَتِهِ البهيّةِ الّتي تُعبِّرُ عنْ شبَهٍ كبيرٍ بالتّمثالِ الصّغيرِ الّذي عثرتْ علَيْهِ في أعماقِ البحرِ وتعشّقتْ صورتَهُ مِنْ صميمِ قلبِها الصّغيرِ.

لمْ تطُلْ بهجةُ هذا الاحتفالِ إلى أبعدَ مِنْ هذا فقدِ انقلبَ الفرحُ إلى شِبْهِ مأتمٍ فجأةً عِندَما هبّتِ الرّياحُ الشّديدةُ وعصفتْ بالسّفينةِ وألقتِ الذُّعرَ في صُفوفِ رُكّابِها وبحّارتِها الّذينَ أخذوا يتراكضونَ مِنْ مكانٍ لآخرَ دونَ أنْ يدْروا ماذا يفعلونَ لإنقاذِ أنفسِهِمْ وحمايةِ سفينتِهِمْ. وبيْنما كانتِ الأصواتُ تتعالى مِنْ هُنا وهُناكَ دوّتْ في الأُفُقِ فرقعةٌ شديدةٌ انجلتْ عنِ انشطارِ السّفينةِ

إلى شَطْرَيْنِ ، فَهوَتْ أَشرِعَتُها البَيْضاءُ على أثرِ ذلكَ إلى البحرِ وكأنَّها الصَّاعِقةُ . وعِنْدَئذٍ هرَبَتْ جِنِّيَّةُ البحرِ سابِحَةً إلى مَكانٍ بعيدٍ وقدِ استوْلَى عليْها خوفٌ شديدٌ سِيَّما عِنْدَما اصطدَمَتْ بِقِطْعَةٍ مِنَ الأَنْقاضِ . فتَسَلَّقَتْ علَيْها وراحَتْ ترْقُبُ مَصيرَ هؤُلاءِ النَّاسِ بِحَذَرٍ وأَسَفٍ شَديدَيْنِ . وبِتطَلُّعِها إلَى إِحْدى الجِهاتِ لمَحَتْ شَبَحَ الأَميرِ الصَّغيرِ وَهُوَ يُصارِعُ المَوْجَ وقَدْ أشْرَفَ على الهلاكِ . وكانَ بَيْنَ فتْرَةٍ وأُخْرى يرْفَعُ إحْدَى يدَيْهِ مُلوِّحاً بِها في الفضاءِ طَلَباً لِلنَّجْدَةِ . فَأَسْرَعَتِ الجِنِّيَّةُ الصَّغيرةُ تَسْبَحُ إلى المَكانِ الَّذي ظَهَرَ فيهِ فحَمَلَتْهُ مِنْ رَأْسِهِ كَيْ ترْفَعَهُ خارِجَ الماءِ وَهِيَ تَسْحَبُهُ إلى الشَّاطِئِ . وكانتِ العاصِفَةُ قَدْ هدَأَتْ وعادَتْ إلَى البَحْرِ زُرْقَتُهُ وأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ بِأَشِعَّتِها الحادَّةِ . ولَمَّا بَلَغَتِ البَرَّ وَضَعَتِ الأَميرَ بِلُطْفٍ فَوْقَ الرِّمالِ وقَدْ بَدَأَ يَسْتَعيدُ قُواهُ بِتأْثيرِ حَرارَةِ الشَّمْسِ . فَأَرادَتِ التَّحَدُّثَ إِلَيْهِ إلَّا أنَّهُ كانَ في دَرَجَةٍ



شَديدَةٍ مِنَ الْإعياءِ . فَاكْتَفَتْ بِتَقْبيلِـهِ بِحَنانٍ وَهِيَ تُمَتِّـعُ الطَّرْفَ بِمَلامِحِهِ الَّتي بَدَتْ مُصْفَرَّةَ اللَّوْنِ وَبِعَيْنَيْهِ الْمُغْمَضَتَيْنِ بِسَبَبِ الْإغْماءِ . وَهُنا سَمِعَتِ الْجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ ضَجَّةً خَفيفَةً فَتَطَلَّعَتْ جِهَتَها فَشاهَدَتْ مَجْموعَـةً مِنَ الْفَتَياتِ يُسْرِعْنَ الْخُطى نَحْوَها . وَكانَتْ أَصْغَرُهُنَّ تُقارِبُ في السِّنِّ الْأَميرَ الْمُغْمى عَلَيْهِ بِجانِبِها . وَهِيَ تَمْشي في الْمُقَدِّمَةِ . فَهَرَبَتِ الْجِنِّيَّةُ إِلى الْبَحْرِ وَأَخْفَتْ رَأْسَها بَيْنَ زَبَدِ الْأَمْواجِ . وَلَمّا عادَتْ إِلى الظُّهورِ شاهَدَتِ الْفَتاةَ الصُّغْرى وَهِيَ تَنْحَني فَوْقَ وَجْهِ الْأَميرِ لِتُعانِقَـهُ وَهِيَ تَبْكي بِحُرْقَةٍ وَمَرارَةٍ . وَعِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَتْ بَقِيَّةُ الْفَتَياتِ وَحَمَلْنَهُ بَعيدًا حَيْثُ دَخَلْنَ بِهِ أَحَدَ الْمَنازِلِ الْفَخْمَةِ .

عادَتْ جِنِّيَّةُ الْبَحْرِ إِلى بَلْدَتِها الْكائِنَةِ تَحْتَ الْماءِ بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّتْ إِلى أَنَّ أَميرَها الشّابَّ قَدْ أَصْبَحَ في مَأْمَنٍ الْآنَ ، إِلّا أَنَّها حَزِنَتْ كَثيرًا لِما أَصابَهُ ، كَما شَعَرَتْ بِالْخَيْبَةِ لِعَدَمِ

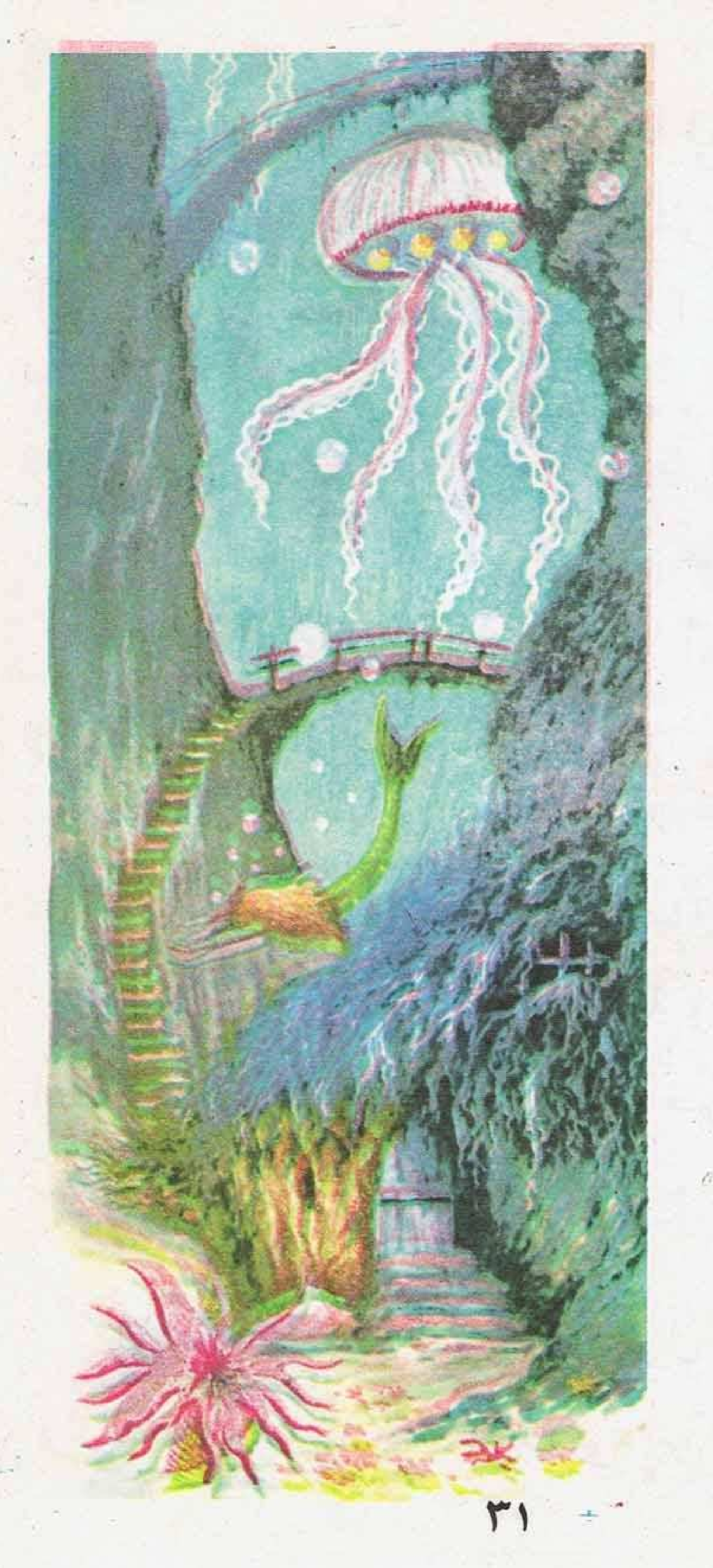
تَمكُّنِها مِنْ إعلامِهِ بِأَنَّهـا مُنقِذَتُهُ . فَهُوَ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إلى الْحَياةِ سَوْفَ لَنْ يَتَذَكَّرَ مَلامِحَها .

لَمْ تُخْبِرِ الجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ أَحدًا مِنْ شَقيقاتِها بِأَيِّ شَيْءٍ مِمَّا حَصَلَ . بَلْ ذَهَبَتْ تَوًّا إِلى حَديقَتِها وَأَلْقَتْ بِنَفْسِها عَلى التِّمْثالِ الصَّغيرِ تُعانِقُهُ وَتُناجيهِ بِقِصَّتِها الْحَزينَةِ الَّتي ظَلَّتْ تَحْتَفِظُ بِها في نَفْسِها وَهِيَ تَقولُ :

« أَيُّها التِّمْثالُ الْحَبيبُ ! . لَقَدْ وَجَدْتُ الشَّخْصَ الَّذي تَعودُ أَنْتَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَيُشْبِهُكَ تَمامًا . »

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ عَقِبَ ذَلِكَ وَجِنِّيَّةُ الْبَحْرِ تَظْهَرُ كُلَّ يَوْمٍ خارِجَ الْماءِ وَتُلْقي بِنَظَرِها بَعيدًا عَلَّها تَحْظَى بِمُشاهَدَةِ أَميرِها الصَّغيرِ وَلَكِنْ دونَ نَتيجَةٍ ، فَتَعودُ إِلى قاعِ الْبَحْرِ بائِسَةً حَزينَةً . وَظَلَّتْ هَكَذا إِلى أَنِ اضْطُرَّتْ في إِحْدى الْأُمْسياتِ إِلى الاعْتِرافِ لِشَقيقَتِها الكُبْرى بِقِصَّتِها مَعَ

حبيبها المجهول . فنقلت هذه الأخت الخبر إلى شقيقاتها الأخريات ومنهن انتقلت القصة إلى الجميع . وكان بينهم صديق الأخت الكبرى يعرف مكان المنزل الذي نقل إليه الأمير بالضبط . وفي مساء اليوم التالي صعد هذا الصديق مع الجنية الصغيرة إلى سطح الماء وقادها إلى موضع القصر حيث شاهدت الأمير في داخله من خلال النافذة . ومنذ ذلك اليوم أصبحت تتردد إلى ذلك المكان كل يوم لتراقب حركات فتاها وتمتع النظر برؤيته من بعيد . فمرة تشاهده عابراً أمام النوافذ وأخرى تراه جالساً في الشرفة المطلة على البحر أو يتجول على سطح المنزل وقد عقد يديه خلف ظهره واستغرق في تفكير عميق . وأحياناً أخرى يخرج من القصر ليشارك أصدقاءه النزهة على ظهور الخيل . وهكذا .. وكانت الجنية المسكينة تبذل كل ما لديها من حيل كي تلفت نظره نحوها فلا تستطيع . إذ كلما تطلع فتاها نحو البحر .



وَشاهَدَها طافِيَةً
عَلى سَطْحِهِ يَظُنُّها
قِطْعَةً مِنَ الزَّبَدِ
أَوْ مَوْجَةً مِنَ
الْمَوْجاتِ. وَفي
إِحْدى الْمَرّاتِ
عَمَدَتْ إِلى
إِفْلاتِ شَعْرِها
الذَّهَبِيِّ الطَّويلِ
وَإِرْسالِهِ عائِماً
عَلى سَطْحِ الْماءِ
فَخالَهُ الْأَميرُ
انْعِكاساً لِأَشِعَّةِ
الشَّمْسِ الْمُتَأَلِّقَةِ
فَوْقَ صَفْحَةِ الْماءِ.

أَصبحتِ الجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ بعْدَ هذا في حالَةٍ يُرثى لها مِنَ الضَّعفِ وَالهُزالِ فقد استَبَدَّ بِها الشَّوْقُ لِلْوُصولِ إلى آسِرِ قلبِها لِدرَجَةٍ أَنَّها لَمْ تستَطِع صبراً عَنْ مُفارَقَةِ سَطحِ الْماءِ لحظةً واحِدَةً. وَعِندَئِذٍ تقدَّمتْ مِنْ جدَّتِها الْمَلِكَةِ وَسَأَلَتها قائِلَةً:

« لِماذا أَنا يا جدَّتي جِنِّيَّةُ بَحْرٍ؟ أَفَلا أَسْتطيعُ أَنْ أَكونَ إِنسِيَّةً لِأَعيشَ على سَطحِ الْأَرْضِ؟ »

فَأَجابَتها جدَّتُها وَهِيَ تبتَسِمُ:

« نَعَمْ بِإِمكانِكِ أَنْ تكوني إِنْسِيَّةً يا حبيبَتي. غَيْرَ أَنَّ الْحَياةَ هُناكَ لَيسَتْ سارَّةً. فالنِّساءُ فوقَ الأَرْضِ أَقَلُّ سَعادَةً مِمّا نَحنُ عَلَيهِ هُنا ».

لَمْ تَعترِضِ الجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ على قولِ جدَّتِها هذا وَإِنَّما قَرَّرَتْ في نَفسِها التَّضحِيَةَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَجلِ أَنْ تربَحَ

الْقُرْبَ مِنْ حَبيبِها . فَذَهَبَتْ إلى إحْدى السّاحِراتِ الْمُقيماتِ في كَهْفٍ عَميقٍ داخِلَ الصُّخورِ الْمَرْجانِيةِ الْحَمْراءِ اللَّوْنِ الْمُمْتَدَّةِ في مَكانٍ بَعيدٍ عَنِ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ، وَعَرَضَتْ على السّاحِرَةِ رَغْبَتَها في أَنْ تُصْبِحَ فَتاةً إنْسِيَّةً ؛ فَتُعْطيها ساقَيْنِ بَدَلًا مِنْ ذَيْلِها الطَّويلِ . فَقالَتِ السّاحِرَةُ تَتَساءَلُ :

« آه !. تُريدينَ ساقَيْنِ إذاً ؟. أَلا تَعْلَمينَ أَنَّكِ سَتَتَأَذَّيْنَ في كُلِّ خَطْوَةٍ تَسيرينَها ؟ فَلَسَوْفَ تَشْعُرينَ كَأَنَّ سِكّينًا تُقَطِّعُ قَدَمَيْكِ وَأَنْتِ تَنْتَقِلينَ بِهِما مِنْ مَكانٍ لِآخَرَ . »

فَقالَتِ الْجِنِّيَّةُ الْعاشِقَةُ :

« أُريدُ أَنْ أَحْظَى بِهَذَيْنِ السّاقَيْنِ مَهْما كَلَّفَ الْأَمْرُ يا سَيِّدَتي » .

فَقالَتِ السّاحِرَةُ :



« إنّي أفهمُ قصدَكِ أيّتُها الصّغيرةُ فأنتِ تُريدين الصُّعودَ إلى سطحِ الماءِ لِتعيشي معَ حبيبِكِ الأميرِ. أليسَ كذلِكَ ؟ »

فقالَتِ الجنّيَّـةُ وَهِيَ تَعجَبُ مِن اِطّـلاعِ السَّاحِرَةِ عَلى سِرِّها :

« نَعَمْ . نعمْ . فَأنا أُحِبُّهُ كثيراً وَلا أَستَطيعُ العَيْشَ بِدونِهِ فساعِديني أيَّتُها المَخلوقَةُ الطَّيِّبَةُ . وَلَنْ أنسى جَميلَكِ ما حَييتُ » .

فَقالَتِ السَّاحِرَةُ بِصَوْتِها الأَخنِ الصَّادِرِ مِنْ أَنفِها :

« هَلْ تَعلَمينَ يا صَغيرَتي أنَّهُ إذا لَمْ يَقَـعِ الأَميرُ في حُبّكِ ، وَلَمْ يَختَرْكِ مِنْ بَيْنِ جَميعِ النِّساءِ اللّائي يَتقَدَّمْنَ إلَيْهِ ، فإنّكِ سَتموتينَ في اللَّحظَةِ الّتي يَقَعُ فيها بِحُبِّ غيرِكِ وَتُصبِحينَ مُجَرَّدَ بُقعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ الطّافي عَلى سَطحِ البَحرِ ؟ » .

فَقالَتِ الجِنّيَّةُ الصَّغيرَةُ :

« إنّني أُدرِكُ هذا كُلَّهُ. ولا أُبالي أنْ أموتَ مِنْ أجلِ ذلِكَ. »

فقالَتِ السّاحِرَةُ:

« أخْرِجي إذاً لِسانَكِ الصّغيرَ أيَّتُها الحمْقاءُ الجميلَةُ، كيْ أقطعَهُ بِهذِهِ السّكّينِ. »

فصاحَتِ الجِنّيّةُ قائِلَةً وهِيَ تضَعُ يدَها على فمِها:

« أتُريدينَ قطْعَ لِساني؟ ولِماذا يا سيِّدَتي؟ »

فقالَتِ السّاحِرَةُ:

« نعَمْ يا صغيرَتي أُريدُ أنْ آخُذَ لِسانَكِ مُقابِلَ السّاقَيْنِ اللّتَيْنِ سأُعطيكِ إيّاهُما. ثُمَّ إنَّ هُناكَ شيْئاً آخَرَ هُوَ الأهَمُّ مِنْ ذلِكَ ».

فقالَتِ الجِنّيّةُ:

« وَما هُوَ يا سَيِّدَتي ؟ »

فَقالَتِ السّاحِرَةُ :

« يَجِبْ أَنْ لا يَعْلَمَ الْإِنسِ أَيَّ شَيْءٍ عَنْ حَياتِنا هُنا تَحْتَ البِحارِ كَيْ لا يَعْمَدوا إلى اكْتِشافِ أَسْرارِنا وَإيذائِنا ».

فَقالَتِ الْجِنِّيَّةَ :

« وَلَكِنْ كَيْفَ أَسْتَطيعُ أَنْ أَجْعَلَ الْأَميرَ يُحِبُّني ؟ فَأَنا لَنْ يَتَهَيَّأَ لي أَنْ أَتَكَلَّمَ مَعَهُ أَوْ أُغَنّي بَيْنَ يَدَيْهِ . »

فَقالَتِ السّاحِرَةُ :

« إِنَّ لَكِ مِنْ جَمالِ وَجْهِكِ وَسِحْرِ عَيْنَيْكِ وَنَضارَةِ صِباكِ ما يَكْفي لِأَنْ يُلْهِبَ قَلْبَ أَيِّ رَجُلٍ يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَيْكِ فَفَكِّري بِما أَنْتِ مُقْدِمَةٌ عَلَيْهِ وَاخْتاري ما يُناسِبُكِ » .

فَاحْتارَتِ الْجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ بِأَمْرِها . فَهِيَ تُحِبُّ أَميرَها

حتماً ولكنها لا تريدُ أنْ تخسرَ لسانَها . وأخيراً تراءَتْ أمامَها صورةُ حبيبِها فلمْ يسعْها إلّا أنْ تقبلَ بالتّضحيةِ في سبيلِهِ فقالَتْ للساحرةِ بلهجةٍ حازمةٍ :

« لقدِ اخترْتُ يا سيّدَتي ! . إخترْتُ أنْ أُعطيَكِ لساني مُقابلَ الساقَيْنِ الجميلتَيْنِ اللّتَيْنِ ستحملانني إلى حَبيبي » .

قطعَتِ الساحرةُ لسانَ الفتاةِ الصّغيرةِ ثُمَّ تناولَتْ مَسْحوقاً سِحْرِيّاً ونثرَتْهُ على وجهِ قدحِ ماءٍ مَصْنوعٍ مِنْ قوقعةٍ بيضاءَ . وأخذَتْ تتلو الطّلاسِمَ وهِيَ تُحرّكُ المزيجَ بقطعةٍ مِنْ عِظامِ الأسماكِ . ولمّا تمَّ انحلالُ المسحوقِ قدّمَتِ القدحَ إلى الجنّيّةِ الصّغيرةِ وهِيَ تقولُ :

« هيّا اصعدي بهذا الشّرابِ إلى سطحِ البحرِ وهُناكَ اجلسي على إحدى الصُّخورِ واشربيهِ جُرعةً واحدةً كَيْ تحصُلي على الساقَيْنِ المنشودَتَيْنِ . »

قَالَتِ السَّاحِرَةُ ذَلِكَ وَأَتْبَعَتْ قَوْلَها بِضُحْكَةٍ عالِيَةٍ اهْتَزَّتْ مِياهُ الكَهْفِ لَها عَلى شَكْلِ فَقاقيع مُتَلاحِقَةٍ إِلى أَعْلى. فَانْحَنَتِ الْجِنِّيَّةُ أَمامَ السَّاحِرَةِ مُوَدِّعَةً حَيْثُ لَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ النُّطْقَ ثُمَّ هَرْوَلَتْ مُسْرِعَةً بِالصُّعودِ إِلى البَرِّ وَقَدَحُ السَّائِلِ السِّحْرِيِّ في يَدِها وَهُوَ مُحْكَمُ الغِطاءِ كَيْ لا تَنْسَكِبَ مِنْهُ أَيَّةُ قَطْرَةٍ. وَهُناكَ في جِوارِ القَصْرِ الَّذي يُؤْوي حَبيبَها انْتَقَتْ إِحْدى الصُّخورِ الْمُطِلَّةِ عَلى الشُّرْفَةِ الَّتي اعْتادَ الجُلوسَ عَلَيْها واتَّخَذَتْها مَقْعَدًا لَها. وَما إِنِ اسْتَقَرَّتْ في مَكانِها حَتَّى تَناوَلَتِ القَدَحَ بِكِلْتا يَدَيْها وَشَرِبَتْ مُحْتَواهُ الْمُرَّ الْمَذاقِ وَهِيَ مُغْمِضَةٌ عَيْنَيْها.

وَما كادَتِ الجِنِّيَّةُ تَفْعَلُ هَذا حَتَّى شَعَرَتْ بِأَلَمٍ حادٍّ يَكادُ يُقَطِّعُ أَمْعاءَها ثُمَّ غابَتْ عَنِ الوُجودِ لِتَسْتَعيدَ بَعْدَ قَليلٍ رُشْدَها وَقَدْ أَصْبَحَ لَها ساقانِ بَدَلًا مِنَ الذَّيْلِ الشَّبيهِ بِذَنَبِ السَّمَكَةِ. كَما وَجَدَتْ نَفْسَها عَلى الشُّرْفَةِ



الآنِفَةِ الذِّكْرِ
وَفي جانِبِها الْأَميرُ
الصَّغيرُ بِلَحْمِهِ
وَدَمِهِ وَهُوَ
يَتَطَلَّعُ إِلَيْها
بِعَيْنَيْهِ الجَميلَتَيْنِ
بِاْهتِمامٍ زائِدٍ .
فَابْتَسَمَتْ لَهُ
دونَ أَنْ تَتَمَكَّنَ
مِنَ الإِجابَةِ عَلى
أَسْئِلَتِهِ الْمُتَلاحِقَةِ.
بَلْ أَطْرَقَتْ إِلى
الْأَرْضِ فَأَدْرَكَ
الْأَميرُ أَنَّها
خَرْساءُ فَتَناثَرَتِ

الدُّموعُ مِنْ عَينَيْهِ إشْفاقاً علَيها . فَشَعَرَتِ الفَتاةُ الصَّغيرَةُ أنَّ جَميعَ آلامِها قَدْ زالَتْ مُقابِلَ هذا التَّجاوُبِ الَّذي بَدَتْ دَلائِلُهُ عَلى وَجْهِ الأميرِ بِكُلِّ وُضوحٍ .

قادَ الأَميرُ فَتاتَهُ الحَسْناءَ مِنْ يَدِها إِلى غُرْفَتِهِ وَقَدَّمَ لَها الأَلْبِسَةَ الأَنيقَةَ الَّتي تُناسِبُ قَوامَها الفَتَّانَ ، ثُمَّ أَسْكَنَها في غُرْفَةٍ خاصَّةٍ بِها وَخَصَّها بِكامِلِ مَحَبَّتِهِ دونَ بَقِيَّةِ صَديقاتِهِ . فَصارَ إِذا خَرَجَ لِلصَّيْدِ يَصطَحِبُها مَعَهُ فَيَقْضِيانِ أَمْتَعَ الأَوْقاتِ وَهُما يَتَنَقَّلانِ مَعاً مِنْ مَكانٍ إِلى آخَرَ . وَفي إِحْدى الأُمْسياتِ صَرَّحَ الأَميرُ لَها عَنْ كامِلِ قِصَّتِهِ وَكَيْفَ جاءَ مِنْ بِلادِ البُرْتُغالِ البَعيدَةِ جِدّاً عَلى ظَهْرِ ذَلِكَ المَرْكَبِ الَّذي غَرِقَ في هَذِهِ البُقْعَةِ وَكَيْفَ أَنْقَذَتْهُ بَناتُ حاكِمِ هَذِهِ الجَزيرَةِ الصَّغيرَةِ الَّذي خَصَّهُ بِهَذا القَصْرِ لِيُقيمَ فيهِ رَيْثَما تَصِلُ سَفينَةٌ أُخْرى تَعودُ بِهِ إِلى بِلادِهِ . وَقَدْ أَرادَ حاكِمُ الجَزيرَةِ أَنْ يُزَوِّجَهُ إِحْدى بَناتِهِ فَرَفَضَ الأَميرُ

مُعْتَذِرًا بِأَنَّ لَهُ خَطِيبَةً تَنْتَظِرُهُ فِي مَوْطِنِهِ . لَكِنَّ الْعُذْرَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يُبْعِدُهُ عَنْ هٰذَا الزَّوَاجِ إِنَّمَا هُوَ خَيَالُ تِلْكَ الصَّغِيرَةِ الْحَسْنَاءِ الَّذِي تَرَاءَى أَمَامَهُ عِنْدَمَا أُغْمِيَ عَلَيْهِ فَوْقَ الشَّاطِئِ . فَلَقَدْ كَانَتْ جَمِيلَةً كَالْإِشْعَاعَاتِ الْأُولَى مِنَ الْفَجْرِ .

وَقَالَ الْأَمِيرُ إِنَّهُ سَيُحِبُّهَا إِلَى الْأَبَدِ بِالرُّغْمِ مِنْ جَهْلِهِ لِمَكَانِهَا، وَبِالرَّغْمِ مِنْ يَأْسِهِ مِنَ التَّمَكُّنِ مِنْ رُؤْيَتِهَا ثَانِيَةً . لَكِنَّهُ يَحْلُمُ بِهَا طُولَ اللَّيْلِ . وَبِسَبَبِهَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يُمَيِّزَ جَمَالَ أَيَّةِ فَتَاةٍ أُخْرَى مِنْ كُلِّ مَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَسْنَاوَاتِ لِكَيْ يَنْتَقِيَ عَرُوسَهُ مِنْهُنَّ . غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا شَاهَدَ فَتَاتَهُ الْخَرْسَاءَ هٰذِهِ تَذَكَّرَ أَنَّ هُنَاكَ شَبَهًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ فَاتِنَةِ قَلْبِهِ ، ثُمَّ خَتَمَ حَدِيثَهُ مَعَهَا قَائِلًا :

« إِنَّنِي الْآنَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنَ السَّعَادَةِ مَعَكِ وَلَا أُطِيقُ فِرَاقَكِ لَحْظَةً وَاحِدَةً . »

فَتَطَلَّعَت الْخَرْساءُ إِلَيْهِ بِتَأَثُّرٍ شَديدٍ دونَ أَنْ تَسْتَطيعَ التَّعْبيرَ لَهُ عَمّا يَجولُ في خاطِرِها واغْرَوْرَقَتْ عَيْناها بِالدُّموعِ وَهِيَ تَنْحَني نَحْوَهُ لِتُقَبِّلَهُ بِحَنانٍ .

وَفي أَحَدِ الْأَيّامِ دُعِيَ حاكِمُ الْجَزيرَةِ وَضَيْفُهُ الْأَميرُ إِلى قَصْرِ أَحَدِ الْأُمَراءِ الْمُقيمينَ عَلى الشّاطِئِ الْمُقابِلِ لِلْجَزيرَةِ الصَّغيرَةِ . وَكانَ لِهذا الْأَميرِ ابْنَةٌ بارِعَةُ الْجَمالِ . فَلَفَتَتِ انْتِباهَ الْأَميرِ الشّابِّ بِحُسْنِ حَديثِها وَدَماثَةِ خُلُقِها . وَلَمّا لاحَظَتِ الْخَرْساءُ اهْتِمامَ حَبيبِها بِهذِهِ الْفَتاةِ تَأَثَّرَتْ مِنْ ذلِكَ وَاشْتَعَلَتْ لَدَيْها نارُ الْغَيْرَةِ .

وَفي الْمَساءِ بَدَأَتِ الْموسيقى بِالعَزْفِ ، وَفي ذلِكَ الْجَوِّ الْحالِمِ دَخَلَتِ الْأَميرَةُ الْحَسْناءُ إِلى قاعَةِ الإِحْتِفالِ ، فَلَمْ يَتَمالَكِ الْأَميرُ الشّابُّ عِنْدَ مُشاهَدَتِهِ لَها مِنَ النُّهوضِ مِنْ مَجْلِسِهِ مَشْدوهاً بِجَمالِها وَاقْتَرَبَ مِنْها يُحَيّيها وَكَأَنَّهُ اكْتَشَفَ شَيْئاً خاصّاً يَكْمُنُ في مَلامِحِها فَخاطَبَها قائِلاً :



« إِنَّها أَنتِ حتماً . لَقَدْ وَجدتُك أَخيراً . فَيا لَفرحةِ اللِّقاء بَعْدَ ذلِكَ الْعَناء ! »

ثُمَّ أَمسكَ بِكِلْتا يَدَيْها وَوَقفَ صامِتاً أَمامَها يَتفرَّسُ في وَجْهِها بُرْهةً طَويلَةً ، وَهُنا تَذكَّر الأَميرُ الشابُّ ضَيفَتَهُ الخرساءَ فالْتَفتَ جِهةَ الْمكانِ الّذي كانَتْ تَجْلِسُ فيهِ كَيْ يُقدِّمَ لَها الأَميرَةَ الْفاتِنَةَ فَلَمْ يَجِدْها هُناكَ ، لَقَد اخْتَفَتْ مِنَ الْقاعةِ كُلِّيّاً .

هَرَبَتِ الخَرْساءُ إلى إحدى الصُّخورِ وَجَلَسَتْ عَلى حافَّةِ الماءِ مُطرِقَةً بِرأْسِها إلى ثَناياهُ الرَّقراقَةِ لِتُلْقيَ بِدموعِها فَوْقَها وَكأَنَّها حَبّاتُ اللُّؤْلُؤِ الَّتي تُزيِّنُ ثَوْبَ الأَميرَةِ الصَّغيرَةِ الَّتي جاءَتْ لِتَنْتَزِعَ حَبيبَها مِنْ بَيْنِ يَدَيْها . وَفي جَلْسَتِها هَذِهِ كانَتْ أَشِعَّةُ الْبَدْرِ النّاصِعةُ

الْبياضِ تَحْجُبُ رُؤْيَتَهـا مِنْ بَعيدٍ ولِذا ظَلَّتْ هُناكَ حَتّى الصَّباحِ دونَ أَنْ يَسْتَطيعَ أَحَدٌ اكْتِشافَ وُجودِها. ولَمّا هَمَسَ الْأَميرُ الشّابّ في أُذُنِ فاتِنَةِ لُبِّهِ الْأَميرَةِ الْجَديدَةِ، كَلِماتِ الْحُبِّ وقَبَّلَها في جَبينِها لِلْمَرَّةِ الْأُولى، سَقَطَتِ الْخَرْساءُ مِنْ حافَـةِ الصَّخْرَةِ إِلى الْبَحْرِ جُثَّةً هامِدَةً. فَقَدْ تَحَقَّقَتْ نُبوءَةُ السّاحِرَةِ وماتَتْ جِنِّيَّةُ الْبَحْرِ الصَّغيرَةُ إِثْرَ الْتِفاتِ حَبيبِها عَنْها إِلى فَتاةٍ غَيْرِها. نَعَمْ لَقَدْ ماتَتْ ولَمْ يَبْقَ مِنْها سِوى بُقْعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ تَعْلو إِحْدى الْمَوْجاتِ، وكانَتْ شَقيقاتُها الْخَمْسُ تَخْرُجُ أَحْيانًا إِلى سَطْحِ الْبَحْرِ خِلالَ اللَّيالي الْمُقْمِرَةِ يَنْدُبْنَ شَقيقَتَهُنَّ وهُنَّ يَمْتَطينَ الْأَمْواجَ مُسْدِلاتٍ شُعورَهُنَّ الشَّقْراءَ الطَّويلَةَ لِتَتَماوَجَ تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ. ثُمَّ يُنْشِدْنَ نَشيدَ الْحُزْنِ عَلى فَقيدَتِهِنَّ الصَّغيرَةِ الَّتي ماتَتْ بِسَبَبِ عَدَمِ عَوْدَةِ حَبيبِها إِلَيْها. وفي ذاتِ الْوَقْتِ يَكونُ الْأَميرُ الشّابُّ يَحْلُمُ بِفَتاتِـهِ الْخَرْساءِ الَّتي لا يَزالُ يَبْحَثُ

عَنْها . وعِنْدما يَستيقِظُ في الصَّباحِ يَمسَحُ بِمَنْديلِهِ الحَريريِّ أثَرَ الدُّموعِ المُتَبَقّيَةِ في عَيْنَيْهِ ، المُعَبِّرَةِ عَنْ حَقيقَةِ شُعورِهِ تِجاهَ هَذِهِ الجِنِّيَّةِ الَّتي ضَحَّتْ بِكُلِّ شَيءٍ مِنْ أجلِهِ .



مجموعة قصص عالمية للأطفال